المحاضرة الثانية:

3-الاتجاه البراغماتي:

من ابرز ممثلي هذا التيار جون ديوي(**1859م-1952م**)، الذي ينتمي إلى المدرسة البراغماتية التي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية ، إن الأساس الفلسفي للمذهب البراغماتي الاعتقاد بأن الفكرة تكون صحيحة نتيجة لما تقدمه من منفعة وعمل فالحقيقة ليست هي بحث عن جواهر مفارقة كما ترى ذلك المثالية وليست أيضا موجودة في الجدالات والنقاشات التي يثيرها الفلاسفة ورجال الدين. فلو أننا اختصرنا الطريق في المفهوم البراغماتي في بحثنا عن الحقيقة لاستغنينا عن الكثير من النقاشات و الجدالات التي لا طائل من ورائها.

- تقوم الفلسفة البراغماتية على المسلمات الآتية:

1-القضية السابقة هي القضية التي تجلب لنا النجاح

2- الفكرة السابقة هي التي تزيدنا في سيطرتنا على الأشياء

3-القضية السابقة هي التي تجعلنا نحقق أهدافنا وأغراضنا

4-معيار الحقيقة في تمحيص الأفكار قائم على ما تجلبه لنا من منفعة أو عمل أو تحسن أو تغير

- وعموما إن الفكرة التي يؤمن بها البراغماتي هي الفكرة التي تعود عليه بالفائدة والمصلحة والمنفعة ولا يهم حكمنا العقلي عليها أكانت صادقة أو كاذبة وبعبارة أخرى ما يهم في المذهب البراغماتي ليس الصحة المنطقية والعقلية بل ما يهم هو صحة العمل فهل تصلح لتجلب لنا تحولا نحو الأفضل في حياتنا؟ هل بإمكانها أن تغير من نظرتنا إلى الأشياء على نحو جاد؟

ففي نظر البراغماتيين يجب التخلي عن الميتافيزيقا والأنساق الفلسفية التي لا طائل منها حيث أضاعت البشرية جهودها ، في تعلمها ودراستها وتلقينها. أما فيما يخص السياق التاريخي لظهور المذهب البراغماتي يمكن القول انه انعكاس للواقع الأمريكي الجديد، حيث بحثت الرأسمالية الأمريكية عن الربح والفائدة في مشاريعها الاقتصادية في أسرع وقت، فلم يكن لها وقت في النقاش والجدال، حول التفلسف مع هذا المذهب الفلسفي أو ذاك. لذلك اتجهت نحو طريق مختصر وهو العيش والحياة على نحو منفعي براغماتي والاستفادة العملية من الثروة والعمل. أو بعبارة أخرى أن الإنسان الأمريكي لم يشغل فكره في دراسة هذا المذهب الفلسفي أو ذاك بل اتجه نحو حياة عملية أما الربح أو الخسارة أما النجاح أو الإخفاق أما الأعلى أو الأسفل وقد

كان جون ديوي و وليام جيمس من الفلاسفة الذين عبروا عن الحياة الأمريكية الجديدة.

الفن ووظيفته في المذهب البراغماتي:

يرتبط الفن في المذهب البراغماتي بالأسس الفلسفية التي يستند عليها ولان البراغماتية قامت على نقد الفلسفة الميتافيزيقية الكلاسيكية فقد تصورت الفن على أنه خبرة حياتية وجدانية عميقة يعيشها الفنان في إطار ظروف بيئية واجتماعية خاصة فالفنان يبقى في النهاية ابن عصره ويعيش مشكلاته ولهذا فان الموضوع الفني عند الفنان هو انعكاس للواقع ولمشكلاته ولا يمكن أن ينفصل عن البيئة التي أنتج فيها يقول ديوي" فان ثمة مهمة أولية تقع على عاتق كل من يتصدى للكتابة في فلسفة الفنون الجميلة ،وتلك هي العمل على إعادة أسباب الاتصال بين صورة الخبرة في حالات تركزها وتهذبها إلا وهي الأعمال الفنية وبين الأحداث وبين الأفعال وبين الآلام اليومية التي تكون من صميم التجربة "

ومعنى هذا أن الفنان يعيش مشكلات واقعه ويعالجها من منظوره الخاص وهو بذلك يدخل في صناعة الوعي المجتمعي والثقافي في عصره وغير ومفصول عنه فلا يتعلق الأمر بمحاولة إدخال قيم فنية مثالية من خارجه ذلك لأنها نظرة مثالية تناقض ما يجب أن يكون عليه العمل الفني وعلاقته بواقعه إذن فاللوحة الفنية الحقة ليست هي التي تجسد قيما خارجة عن الواقع بل تلك التي تعكس الواقع وتغيره في نفس الوقت فالفن البراغماتي يهدف إلى تربية فنية للإنسان من جهة أن يكون الفرد قادرا على المشاركة في الديمقراطية وصلاح المجتمع والفن إذا لم يكرس نفسه لهذه المهمة سيبقى بغير معنى حقيقي ذلك أننا سنفصله عن جذوره الاجتماعية والحضارية بل من مهام الفن التوجه نحو ترقية الإنسان في وعيه وسلوكه لبناء مجتمع أفضل.

وبناءا على ما سبق نجد أن الفن البراغماتي هو الذي يتجه لمنفعة الإنسان وتحسين سلوكه في المجتمع وتربيته أخلاقيا كما أن الرواية أو الفيلم السنيمائي أو المسرحية أو الموعظة الدينية هي عملية وناجحة بقدر ما تساهم فيه من بناء المجتمع وجلب المنفعة له من بعيد أو قريب وقصارى القول الفن البراغماتي يستند على حقيقة الفن لغيره وليس لذاته وبعبارة أخرى ليس هناك فن من اجل الفن في ذاته بل هناك فن يخدم الحياة ويخدم المجتمع.

نقد وتقييم:

إن ارتباط الفن بالمنفعة وبالبيئة المجتمعية يختزل مفهوم الفن إلى مجرد خادم غبي للإنسان كما أنه يفقد قيمته الجمالية. فالواقع يثبت أن الفن الذي يرتبط بالمنفعة المادية قد أنتج في النهاية - فنا هابطا سواء تعلق الأمر بالموسيقى أو بالأفلام السينمائية أو بالروايات- حيث أن سعي الفنان إلى الربح المادي والشهرة قد جعله ينزل بمستوى الفن إلى مرتبة هابطة وغرضه في ذلك مخاطبة الجماهير والمال وهو بذلك قد ضحى من قيمة الجمال إلى مرتبة من دون المستوى المطلوب. بالإضافة إلى ظهور الفن الركيك حيث يكثر الفنانون المزيفون وذلك نتيجة للربح والكسب وفي الأخير لابد أن يكون للفن قيمته وألا يدخل فيه إلا الفنان الحقيقي الموهوب الذي يتسامى عن الآخرين بإحساسه الجمالي الرفيع وعلى هذا على الفن أن يحافظ على بعده المتميز.

4 - الاتجاه الماركسي:

من ابرز أعلام هذا المذهب: كارل ماركس (**1818 -1883**) ولينين (**187٥- 1924**)، من المؤكد أن الأفكار الفلسفية للنظرية الماركسية أثرت تأثيرا مباشر على نظرية الماركسيين في الفن. تنطلق الماركسية من مسلمات أولية في فلسفتها من أهمها على الإطلاق:

1 - الاعتقاد أن المادة اسبق من الفكرة وان الروح ليست إلا انعكاس لحركة المادة وان الإنسان في النهاية ليس إلا آلة مكونة من الجسد فقط ، وما يطلق عليه اسم الروح أو النفس ليست في أخر المطاف غير مشاعر تنتاب هذا الجسد.

2 – تؤكد الماركسية إن الفلسفة والدين والفن والأفكار ليست إلا انعكاس للواقع الاقتصادي والاجتماعي للناس، فوجودهم الاجتماعي والطبقي هو الذي يحدد طبيعة تفكيرهم في النهاية وان لكل طبقة اجتماعية لها تفكيرها الخاص والمميز لها، إذن الاقتصاد يأتي أولا ثم تأتي الفكرة .

٣ -إذا كانت المثالية الهيجلية تعتقد إن الفكرة هي التي تتحكم في الواقع وهي التي تقوده نحو هذه الوجهة أو تلك ، من خلال الفلسفة أو الدين أو من خلال الأفكار الثورية التي تقيم في أذهان العظماء فإن ماركس ينطلق بالعكس من هيجل تماما: إن الاقتصاد والواقع الاجتماعي هو الذي يخلق الأفكار، وان البطن الجائع لا يمكن أن يفكر. فالناس لا تفكر في إبداع الأفكار بقدر ما تفكر في كيف تسد حاجتها من الجوع وتضمن بقاءها بادخار الطعام .

4- والواضح من خلال ما سبق إن التاريخ في نظر الماركسية ليس تطور للأفكار ولا يعود لسيرورة فكرية من عصر لأخر، أو ثورة يقيمها الناس في أذهانهم من خلال أفكارهم ضد أفكار قديمة وبالية، بل أن التاريخ في المفهوم الماركسي يخضع في تطوره وتقدمه للصراع الطبقي بين طبقة تملك ، وطبقة لا تملك، بين فئة تملك الرأسمال ووسائل الإنتاج وبين فئة لا تملك شيئا ، بل هذه الأخيرة ليست إلا خادمة للطبقة المالكة ،ويسميها ماركس بالبروليتاريا أو الحركة العمالية.

5-ينتقد ماركس ذلك التصور المثالي للتاريخ بوصفة صراع فكري بين أفكار قديمة وأفكار جديدة أو بوصفه حركة تقدمية لأفكار، يؤكد ماركس على أن التاريخ مادي في حركته وان تغيره يقوم على طبيعة الإنتاج ونمط الإنتاج ووسائل الإنتاج، فالبشرية مرت طوال تاريخها من النظام الاقتصادي المشاعي ثم الزراعي والعبودي والإقطاعي والبرجوازي وتنتهي بالشيوعية التي حلم بها ماركس وانجلز

من خلال ما سبق يمكن استنتاج النظرة الجمالية للنظرية الماركسية في الفن ، حيث تعرف الفن بأنه عمل جمالي خلاق يقوم به الإنسان من اجل معرفة الحقيقة الموضوعية ولزيادة فهمه بالعالم الخارجي من اجل تغييره.

ومن تعريفات الماركسية للفن أنه عمل جمالي خلاق يعكس العالم المحيط بالإنسان ومحدد بإدراك طبيعة التطور الاجتماعي فالمسرح الحقيقي هو الذي يصور حياة الناس ومعاناتهم ويبرز الاضطهاد الذي يعانون منه من طرف الطبقة الرأسمالية المهيمنة كما يساهم الفن الشعري في شحذ الهمم من أجل الثورة الاشتراكية والشيوعية كما أن الفن الأدبي يجب أن يصور الوجود الاجتماعي للناس وحالاتهم التي يعيشونها في خضم واقعهم المؤلم لا أن يصور عوالم مثالية رومانسية.

يسخر ماركس ولينين من الفن الذي ليس له أي غاية بل إن مهمة الفنان الحقيقي هو الذي يرتبط بالواقع وأن يخدم الإديولوجيا العمالية نحو تحقيق أهدافها في إقامة نظام شيوعي تغيب فيه الفوارق الاجتماعية بين الناس.

يعتقد ماركس أن كل طبقة اجتماعية لها تذوقها الخاص للجمال وأن كل ما أنتج في تاريخ الفن ليس إلا تعبير البرجوازية عن نظرتها للجمال وأذواقها وبالتالي فإنه فن يقصي الجماهير من اهتماماته فالروايات والقصص والأشعار التي تصور حياة الأمراء والإبطال والفرسان النبلاء هو فن يعكس الحياة البورجوازية ويعكس أيضا قلة من الناس الذين يملكون كل شئ، فهذه الروايات التي تتضمن حياة الفارس والنبيل والأمير بعيدة عن اهتمامات

اغلب الناس ولا تتقاطع مضامينها مع ما يعيشونه من أوضاع اجتماعية لهذا فإن المثالية الهيجلية والرومانسية جاءت لتعبر عن الطبقة البورجوازية.
وحسب الماركسيين لا بد أن يكون الإبداع الجمالي قائما على تسليط الضوء على فهم الواقع وفهم حياة الناس من أجل روايتها ومن أجل أن تحول إلى نص مسرحي وشعري حيث يكون الجمال الفني متاحا للجميع ." يقول ماركس"الفن هو الفرح الأسمى الذي يمكن أن يمنحه الإنسان لنفسه.ولكنه أيضًا وسيلة من أجل أن يعي المجتمع ذاته، ومرآةٌ عجيبة يبصر فيها المجتمع على نحو أفضل، الحركات الي تنتابه، ويبصر فيها صعود الأفكار الجديدة"

وظيفة الفن في الماركسية:

١ -خدمة الطبقة الكادحة من أجل نيل حقوقهم وهو بهذا يكون عاملا ثوريا في توعية العمال من أجل توحدهم ضد البورجوازية .

٢ -تقوم وظيفة الفن على فهم حياة الإنسان الواقعية والاجتماعية وفهم العالم المحيط بالإنسان، يقول إرنست فيشر(**1899-1956**) "إن كل فن هو وليد عصره وهو يمثل الإنسانية بقدر ما يتلاءم مع الأفكار السائدة في وضع تاريخي محدد، ومع مطامح هذا الوضع ومع حاجاته وآماله، لكن الفن يمضي إلى أبعد من هذا المدى، فهو يجعل كذلك من اللحظة التاريخية المحددة لحظة من لحظات الإنسانية، لحظة تفتح الأمل نحو تطور متصل" .

٣ -يهدف الفن إلى فضح عيوب الرأسمالية والحياة ضمن المجتمع الرأسمالي وإبراز أوجه التسلط والاضطهاد التي يمارسها الرأسماليون على الطبقة الكادحة.

نقد وتقييم :

ساهم التصور الماركسي للفن من تقريب الأعمال الفنية الجميلة للناس وللجمهور ولم يبقى مقتصرا على فئة معينة من الناس وهكذا أصبحت المسارح تعرض حياة الناس البسطاء المنتمين للطبقة الكادحة وأصبحت بذلك الروايات تصور قصصا من الواقع الاجتماعي مبرزة أوجه الظلم والقسوة والاضطهاد والبأس التي يعانيها الإنسان العادي إلا انه ومع ذلك نجد أن الماركسية قد أهملت الفن الرمزي والرومانسي باعتبارها فنون مزيفة. هذا الإنكار من الماركسية للأعمال الفنية والرمزية والدينية والصوفية جعلها تتعرض لانتقادات شديدة . الإنسان لا يتذوق الجمال

فقط من خلال الأعمال الفنية الواقعية بل انه يستطيع أن يرتقي بخياله الجمالي إلى أن يتذوق الأعمال الرمزية والمجردة والأعمال التي تصور بعمق الأفكار الجمالية الرمزية، فالخيال والحرية تمكن الإنسان من تأمل اشد الأعمال الفنية رمزية.

5-الاتجاه الواقعي:

ينطلق أصحاب هذا الاتجاه من أن الفن يجب أن ينطلق من الواقع نفسه من أجل محاكاته وتقليده وليس من خلال فرض قوالب مثالية عليه ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه أرسطو وأصحاب الوضعية المنطقية حيث يرون أن أحسن فن هو الفن الذي يعكس تفاصيل الواقع سواء في اللوحة أو الرواية أو الشعر وجاءت الواقعية في الفن ضد السريالية التي تعني ما وراء الواقع أو ما فوق الواقع حيث تتجه هذه الأخيرة إلى الرمزية والتجريد في الموضوعات الفنية في نظر الواقعيين الجميل يكمن في الواقعي في حياة الناس وفي محاكاة الطبيعة بل إن الواقع فيه قصص روائية ومناظر جميلة لو عرف الفنان كيف ينقلها فلا نحتاج إلى الخيال من أجل استلهام الأفكار الجمالية ،لهذا يلح أصحاب هذا الاتجاه على مسألة أن الفنان يجب أن يتوجه فنه إلى ما يعيشه وما يعيشه الناس وما يحدث لهم.

<u>وظائف الفن في الواقعية:</u>

١ -فهم الواقع على نحو أفضل أحسن لأن الفنان يرى بحسه الجمالي أحسن مما يراه الإنسان العادي.

٢ -إذا تم فهم الواقع سيتم تغييره.

٣ -يحاول الفن الواقعي إبراز حقيقة أن الواقع هو أرض خصبة لاستلهام الفنان مواضيعه الفنية دون اللجوء إلى عوالم مثالية ليستلهم منها فنه.

٤ -في الفن الواقعي هناك إثارة لا تحوزها الفنون الخيالية فالرواية الواقعية والفيلم الواقعي يبدو أكثر منطقية وعقلانية ومقبولية من الرواية والفيلم الخياليين.

<u>نقد وتقييم:</u>

لا يمكن أن نحصر الإنسان في حدوده الواقعية، صحيح أن الواقع يلهمنا بمواضيع لكي نفكر فيها فنيا وجماليا ولكن لا يمنحنا الحرية لكي تنطلق الروح في الإبداع وحده الخيال هو الذي يمكن الإنسان من التحرر من الواقع وليس البقاء فيه.